الدرس الصوتيّ في كليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسيّ

الأستاذة: غنية تومي
قسم الآداب و اللغة العربية
جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)

ملخص:

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على تناولات الداعية المفسّر التركيّ بديع الزمان النورسي للقضايا الصوتية من خلال تفسيره المعروف بكليات رسائل النور في إطار مقاربة لغوية تؤصّل لجملة مفاهيم تعكس التفكير اللغويّ للرجل لاسيما الصوتيّ منه؛ وذلك بالتعرّض لنظرته للصوت، و ربطه إيّاه بالإعجاز القرآنيّ، و التأكيد على وقوفه على كثير من المقولات الصوتية الحديثة

Abstract:

This study attempts to shed light on the issues of sound in the interpretation of the Turkish preacher Bediuzzaman Nursi known by Couliat rassael nour in part of an linguistic study to emphasizes the inter concepts reflect his linguistic thinking, particularly sound issue; by presenting his vision of the voice, and linking it to the sound miraculous of the holly Qur'an, and the emphasis on his big knowledge of many of the principles sound modern

منْ يتصفّح "رسائل النور" للنورسيّ و يقلّب و ينظر و يتمعّن سيجد، لا محالة، زخمًا كبيرًا في علوم الشريعة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه و دعوة، و موسوعة فكرية و بؤرة معارف متشعّبة، تنمّ عن علم غزير في شتّى المجالات، و لعلّ أبرزها علوم اللغة العربيّة التي نلفي مباحثها منثورةً مزيّنةً حمولةَ ما بين دفّتَيْ كلياته، و ما تبتغيه هذه الدّراسة إنّما تتبّع و رصد الفكر اللغويّ الصوتيّ للتركيّ "بديع الزمان سعيد النورسيّ"(1293-1379هـ) (1873-1960م)؛ إذ ثبت لمتصفِّح كليّاته من أصحاب الاختصاص إمكانية إقامة دراسات لغويّة متنوّعة عنها، إنْ كانت صوتيّةً أو صرفيّةً أو نحويّةً تركيبيّةً أو دلاليّةً أو بلاغيّةً، و مجموع تلك الدراسات يشكّل دراسة لسانيّةً، نرنو في هذا المقال إلى تسليط الضّوء على الجانب الصوتيّ منها.

يُجْمِعُ أغلب اللغويّين و اللسانيّين على فكرة جوهريّة "... هي أنّ اللغةَ ظاهرةٌ إنسانيّةٌ عامّة يشترك فيها كلّ البشر، و تتألف اللغة من أصوات تصدر من أعضاء النطق و هي مشتركة أيضا بين كلّ البشر، ثم تتآلف هذه الأصوات في أنساق مختلفة لتكوّن الكلمات، ثمّ تتألّف الكلمات في عدّة أنساق لتكوّن الجمل. و هدف علم اللغة العام أن يطوّر النظريّة العامّة للّغة والوسائل الدقيقة لتحليل الأصوات والكلمات و الجمل و الدلالة"[1]

و بمّا أنَّ اللغةَ نظامٌ متشابكُ الأطر متشعّب الجوانب، فإنه ليس في الوُسْع دراستها دفعة واحدة، ولا مفرّ من التركيز"...على هذه الجوانب على مراحل متعدّدة بواسطة استخدام مداخل مختلفة يطلق عليها اسم : مستويات التحليل اللغويّ"[2]، و التي يمثّل المستوى الصوتيّ أوّلها.

و لأنّ الصوت أجلى مظاهر اللغة، فإنّ المستوى الصوتيّ أوّلها ولوجا في الدراسة؛ لأنه يمثّل ذلك" النمط من الدراسة لأصوات اللغة باعتبارها البنية الأساسية للغة والمظهر الماديّ لها، و قد أوجَد الفكر الإنسانيّ الحديث والمعاصر منوالين لتناول الظاهرة الصوتية؛ و هما علم الأصوات اللغويّphonetics وعلم الأصوات الوظيفيّPhonology .

أمّا الأوّل فهو"العلم الذي يتناول الأصوات اللّغويّة كوحدات صوتية مجرّدة منعزلة عن السّياق الصّوتيّ الذي ترد فيه، فيكون الاهتمام بالوجه الماديّ لأصوات اللّغة البشرية؛ أي

بدراسة العناصر الصوتيّة للسلسلة الكلاميّة المعتبرة في تحقيقها الملموس وبمعزل عن وظيفتها اللّغويّة التواصليّة، وهو بذلك يُعْنَى بمادة الأصوات لا بقوانينها، ولا يقتصر ميدان هذا العلم على البحث في أصوات لغة بعينها بقدر ما يُعْنَى بالصّوت اللغويّ في عمومه، أي بالمسائل العامّة والخصائص المشتركة في جميع اللغات.

والآخر" علم الأصوات الوظيفيّ" هو العلم الذي يضع الوظيفة قبل المادة؛ فيدرس وظائف الأصوات في لغة معينة، و يحدّد العناصر المكوّنة لنظامها اللّغويّ، وطرق تناسقها في أشكالٍ بعينها، كما يتناول المقاطع الصوتية، والنبر والتنغيم والوقف والقوانين التي تخضع لها كلّ واحدة، وكذا العوامل والنتائج اللغويّة المترتّبة عن كلٍّ منها فيكون الصّوت في سياقه محور الدّراسة والاهتمام"[3]؛ فـ " لا توجد في اللّغات أصوات لغويّة منعزلة إلاّ بنوع من التجريد، إذ إنها في كلّ لغةٍ تكوّن نظامًا مترابطًا، ولكن معنى ذلك أيضًا أنّها لا تستعمل على انفراد، فلا يُتَكَلَّمُ إلاّ بمركّبات من الأصوات اللغويّة، فَأَقَلُّ جملةٍ وأَقَلُّ كلمةٍ تفترض سلسلةً من الحركات النطقية المعقّدة وقد تركّبت فيما بينهم"[4]، ومِن هنا تتجلّى أهميّة الدّرس الوظيفيّ للصّوت.

الدّرس الصوتيّ في الرسائل:

إنّ الدراسة الصوتية الفونيتيكية تتأسّس على أنواع ثلاثة من العلوم؛ أوّلها علم الأصوات النطقيّ أو الفيزيولوجيّ الذي يُعنَى فيه بالبحث في الأصوات مفردة معزولة عن محيطها الصوتيّ الواردة فيه؛ من ناحية جهازها النطقيّ ومخارجها و صفاتها، ثمّ علم الأصوات الفيزيائيّ أو الأكوستيكيّ وفيه تُدْرَس كيفية تحوّل الأصوات إلى ذبذبات و موجات صوتية، منتشرة في الهواء؛ أي منذ خروجها من فم المتكلّم وصولا إلى أذن السّامع، مع قياس شدّتها و سعة اهتزازها و تردّدها..إلخ، أمّا النوع الثالث؛ فيسمّى علم الأصوات السمعيّ ، ومهمّته دراسة تأثير تلك الذبذبات الصوتية على أذن وعقل السّامع [5].

و بما أنّ صاحبَ الرسائل بالأساس مفسّرٌ و داعيةٌ و مجاهدٌ و مفكّرٌ؛ فمنطقي جدًّا ألاّ نجد فيها ذكرا لشدة الصّوت أو مدى اهتزاز ذبذباته، أو كيفية تحوّلها لسيّالة عصبيّة يترجمها عقل السّامع، إلى غير ذلك من الطّروحات الصّوتية التي تحتاج لعالمٍ متخصِّص في

الصّوتيّات له باعه في المختبرات وتحاليل المعامل الصوتية، وعليه لن نلفي في المدوّنة إلا إشارات يسيرة للجانب المتعلّق بمخارج الأصوات، أمّا صفات الأصوات فنجدها بقدر ليس بالقليل، وهذا ما سيتبيّن فيما يأتي.

1 ـ تعريف الحرف:

بديهي أن نستهل تجليات المباحث الصوتية في فكر الأستاذ النورسيّ بإيراد نظرته للصوت؛ إذ يعرّف الصوت و يسميه الحرف بقوله :" ...إنّ الحرف جسم لطيف هوائيّ، لا يقدر أن يأخذ معناه "[6]، و لو حلّلنا كلامه هذا لوجدنا أنه يشير أوّلا إلى سمة الحرف المنطوق ألا و هي الهوائية؛ بمعنى أنّ الحرف يُنْطَق فينتشر في الهواء، لذلك فهو جسم لطيف هوائيّ، وهي إشارة إلى الطبيعة الفيزيائية للصوت، و لو كانت للنورسيّ فرصة دخول المختبرات الصوتية لكان في وصفه ذاك تدقيق و تفصيل أكثر،أمّا في قوله " لا يقدر أن يأخذ معناه"، فيقصد_ على ما نظن _ أنه لا يحمل في ذاته معنى أو دلالة، كالباء أو السين أو الميم....وغيرها، فهذه الحروف لا معنى لها في ذواتها، إنّما هي عناصر أو وحدات صوتية لها وظيفة إنْ هي سيقت بطريقة معيّنة في كلمات أو وحدات لغوية معيّنة مانحة إياها دلالة، و يؤكّد كلامه هذا ما ذكره في موضع آخر من الجزء نفسه (صيقل الإسلام) قائلا: "...كالحرف الذي يُعَرَّف: دلّ على معنى في نفس غيره، أو لا يدلّ على معنى في نفسه..." [7].

إنَّ المطَّلِعَ أبسط اطِّلاع على أبجديات اللسانيات لا محالة يلمس علاقة قائمة بين حدِّ النورسيّ للحرف، و تجسّد ماهيته عند أغلب اللسانيين المُحْدَثين لمّا عرَّفوه تحت مسمّى الفونيم بقولهم هو: " أصغر وحدة صوتية مجرَّدة تمايزية لا تحمل بحدِّ ذاتها أيّ معنى..."[8]، و هو" أصغر وحدة صوتية تحدث تمييزا في المعنى" [9]، فزيادة على إشارته للطبيعة الهوائية له وهو تأكيد لفيزيائية الصوت في الهواء، نرصد تطابقا بين:

- (دلّ على معنى في نفس غيره) مع (وحدة صوتيّة مجرّدة تمايزية) و(تحدث تمييزا في المعنى)
_ (لا يدلّ على معنى في نفسه) مع (لا تحمل بحدّ ذاتها أيّ معنى) إذن؛ استقام تعريف النورسيّ للحرف و المنظور الحديث للفونيم.

و في المقابل نراه يمنح الاسم مفهوما قريبا ممّا يصطلح عليه اللسانيّون بـ المورفيم؛ فيراه ما "...دلّ على معنى في نفسه..."[10]، ويقابله بالحرف، في حين يمثّل في الدرس اللساني الحديث "... أصغر وحدة في بنية الكلمة تحمل معنى أو تؤدي وظيفة نحوية.."[11]، و"...أصغر وحدة صرفية ذات معنى على مستوى التركيب..."[12]، وهذا هو الفرق بين الفونيم و المورفيم؛ إذ إن الأوّل لا يحمل دلالة في نفسه لكن له دوره في منح اللفظة دلالتها النهائية، أمّا الآخر فيدل على معنى في نفسه.

2 ـ الحرف القرآنيّ و الإعجاز:

كثيرا ما تكرّرت الصفة الهوائية للحروف في متون الرسائل؛ إذ نجده يقول في اللمعات " كما أننا نزرع الحروف و الكلمات بالهواء الذي في أفواهنا، و إذا بها تتسنبل و تثمر، أي إنّ الكلمة تصبح حبة في آن واحد كأنه بلازمان و تتسنبل في الهواء الخارجيّ، هواءً حاويا على مالا يحدّ من الكلمة نفسها، صغيرها وكبيرها.."[13]، ويضيف:" ... إنّ الحروف التي هي موجودات هوائية، و لا سيما الحروف المقدّسة و الحروف القرآنية وبخاصة حروف الشفرات الإلهية و هي المقطّعات التي في أوائل السّور، تسمع الأوامر و تمتثلها امتثالا في غاية الانتظام والشعور التّام و الحساسية الكاملة و بلا حاجة إلى زمان..." [14].

يحيل النورسيّ إلى مخرج الحروف من الفم دون أن يتعرّض للجهاز النطقيّ فيقول:"... ثم يخرج الهواء من الفم ويكون مبعث نطق الحروف و انطلاقها...فبناء على خاصية الهواء هذه، فإنّ الحروف التي هي موجودات هوائية كلّما اكتسبت قداسة، أي اتخذت أوضاع البث و الالتقاط يصبح لها حظ وافر من تلك الخاصية.."[15].

و حوصلة لما فات يمكن القول إن الأستاذ النورسيّ أشار إلى نقاط فونيتيكية عدّة إشارات لامعة من مثل :

* تعريفه الدقيق للحرف الذي يكاد يطابق تعريف الفونيم.
* تقارب كبير بين حدّي الاسم عنده و المورفيم عند اللسانيين المحدثين.
* التأكيد على الصّفة الهوائيّة للحرف يقارع ما أثبته العلمان: علم الأصوات النطقي من أن

الحروف ما هي إلا هواء الزفير معترض في مواضع معينة من الفم، و علم الأصوات الفيزيائيّ أو الأكوستيكيّ من أنّ الصّوت بمجرّد خروجه من الفم يتحوّل إلى ذبذبات هوائية منتشرة في الهواء.

* إشارته إلى تلقي السامع للموجودات الهوائية (الحروف) من خلال اتخاذ أوضاع الالتقاط والتي ربما يعني بها سريان البذبذبات عبر اللاقط الذي هو الجهاز السّمعيّ، ثمّ الدّماغ الذي يترجمها إلى مقابلاتها الدلالية.

إنّ الدراسة الفونيتيكيّة للحروف عند النورسيّ تجلّت في معظمها، كما سبق ذكره، في الجانب الفيزيولوجيّ النطقيّ الذي سأتكلم عنه الآن، أمّا الجانبان الفيزيائيّ و السمعيّ فلا يُلْمَس لهما حضور كبير في الكليّات، وربّما يعود ذلك، كما قلت قبلا، إلى التّوجه الدينيّ الدعويّ الجهاديّ النوريّ للرجل؛ فهو و إن كان موسوعيًّا مطلّعا على كلّ ما وقع بين يديه من كتب على اختلاف أنواعها وتعدّد مشاربها وتخصّصاتها، إلاّ أنّ أهدافه وتوجّهاته الدينية الطليعية غالبةٌ متمكّنة من عامّة أفكاره.

يتّجه التّناول النطقيّ الفونيتيكيّ صَوْبَ صفات الحروف أكثر بكثير من مخارجها أو جهاز نطقها، ويكاد ينحصر ذكره للصّفات في أثناء حديثه عن الجانب الإعجازيّ للقرآن الكريم؛ إذ يرى النورسيّ أن الله عزّ وجلّ أودع في الحرف القرآنيّ سرًّا إعجازيًّا لا يدركه إلا أصحاب التخصّص و الدراية[16].

لم يألُ النورسيّ جهدا في التّأكيد على اعتبار الحروف القرآنية من أوجه الإعجاز في بلاغة القرآن الكريم؛ فمن خلال كلامه عن (البداعة الخارقة في أسلوبه) مثلا، يقدّم لنا مادة لغوية لافتة و دقيقة عن الحروف المقطّعة أوائل بعض السّور القرآنية، و أسماها (الشفرات الإلهية) التي تحتاج مَنْ يفكّها ليُعْلَمَ اليقينُ من خلالها، و منها: ألم، ألر، طه، يس، حم، عسق...(17)، وقال موضّحًا باسطًا للفكرة :" إنّ الحروف المذكورة في بدايات السّور تنصف كلّ أزواج طبائع الحروف الهجائية من المهموسة و المجهورة و الشديدة و الرخوة ... و غيرها من أقسامها الكثيرة. أمّا الأوتار_ التي لا تقبل التنصيف _ فمن الثقيل التصف القليل كالقلقلة، و من الخفيف التصف الكثير كالذلاقة(...) فهذه الحروف المقطّعة التي في

أوائل السّور و التي هي شفرات ورموز إلهيّة تبيّن خمسا أو ستًّا من أسرار لمعات إعجاز أخرى..."[18].

3 ـ تصنيف الحروف:

يصنّف علم الأصوات الفيزيولوجيّ (النطقيّ) الأصوات وفق معيارين؛ الأول عضويّ يتمثّل في مكان أو مخرج الصّوت، كأن نقول: صوت شفويّ، أو أسنانيّ، أو غاريّ، أو لهويّ، أو حلقيّ ...إلخ، و الآخر صوتيّ؛ يتمثّل في طبيعة أو صفة الصّوت التي يظهر بها في طريقة نطقه مثل الأصوات الصّامتة والصّائتة، و المجهورة والمهموسة، و الشديدة و الرخوة، و المطبقة و المنفتحة، و المفخّمة و المرقّقة، وغيرها من الصّفات الصوتيّة[19].

أ ـ مخارج الحروف:

أشار بديع الزمان إلى لطائف كثيرة دقيقة للحروف المقطّعة أوّل سورة البقرة "ألم" ، و رأى أنّها قمّة الإيجاز الذي هو ثاني أساس من أساسَيْ الإعجاز القرآنيّ، و في أثناء ذلك تعرّض إلى المخارج الثلاثة لتلك الحروف المقطّعة؛ فالألِف حلقيّ (مخرجه الحلْق)، و اللام من وسط الفم ، والميم شفويّ [20] . ويرى أنّ الألف حلقيّ شأنه شأن القدامى من اللغويين و علماء التجويد والقراءات، في حين أنّ الأصواتيين المحدثين يعدّونه حنجريًّا، و لربّما عنى القدماء بأقصى الحلق الحنجرة فلا كبير اختلاف يُلْمَس [21].

ثمّ اللام في نظره حرف من وسط الفم ، و من منظور الفونتيك الحديث صوت لثويّ " يكون نطقه بالتقاء طرف اللّسان باللّثة "[22]؛ بمعنى أنّ كلامه صحيح و إنْ لم يدقق في تبيان المخرج، و ربّما كان ذلك لينقل لنا صورة تتالي مخارج الألف واللام والميم عبر الفم من أقصاه فوسطه ثم أدناه، أمّا الميم فشفويّ بالنسبة له، و للأصواتيين المحدثين مخرجه ممّا بين الشفتين [23].

ب ـ صفات الحروف:

أومأ النورسيّ إلى صفات الحروف و هو بصدد دراسته للحرف الهجائيّ العربيّ أوائل بعض السّور القرآنية (الشفرات الإلهية)، و ذهب إلى أنّ المولى عزّ وجلّ افتتح بعض السُّور بالحروف المقطّعة التي تتشكّل منها الكلمة العربية، وأنه قد بثّ فيها إعجازًا لغويًا و

معنويًا وعدديًا أعجز الفصحاء البلغاء الخاصّة قبل العامَّة.

ومتصفِّح رسالته (إشارات الإعجاز في مظانِّ الإيجاز)، التي ألّفها باللغة العربية، يجده فاحصًا ممحِّصا الحروف المقطَّعة (ألم) في خِضمِّ تفسيره الفريد لسورة البقرة؛ إذ يقول:" إن الإعجاز قد تنفّس من أفق *(الم)* لأن الإعجاز نور يتجلّى من امتزاج لمعات لطائف البلاغة. وفي هذا المبحث لطائف كلّ منها و إنْ دقّ لكان الكل فجر صادق. منها: أنّ *(الم)* مع سائر أخواتها في أوائل السّور تنصّف كلّ الحروف الهجائية التي هي عناصر كلّ الكلمات. فتأمل!. ومنها: أن النصف المأخوذ أكثر استعمالا من المتروك، ومنها: أن القرآن كرر من المأخوذ ماهو أيسر على الألسنة كالألف و اللام، ومنها: أنّه ذكر المقطّعات في رأس تسع و عشرين سورة عدّة الحروف الهجائيّة، ومنها: أنّ النّصف المأخوذ يُنَصِّف كلّ أزواج أجناس طبائع الحروف من المهموسة و المجهورة والشديدة و الرخوة و المستعلية و المنخفضة والمنفتحة وغيرها، و أمّا الأوتار فمن الثقيل القليل كالقلقلة ؛ ومن الخفيف الكثير كالذلاقة، ومنها: أن النّصف المأخوذ من طبائعها ألطف سجية..." [24]

و في وسعنا استخلاص الآتي مزاوجة و مقارنة بما يقرّه علم الأصوات اللغويّ الحديث:

1-تمثّل الحروف المقطّعة أوائل بعض السّور نصف عدد الحروف الهجائية التي تبنى منها الكلمات في اللغة العربية، و عدد الحروف المقطّعة مع تكرارها ثمانية و سبعون 78حرفا، وبحذف المكرّر منها تؤول إلى أربعة عشر حرفا 14 هي: أ ، ل، م، ص، ر، ك، هـ، ي، ط، س، ح، ق، ن، ع ، و الرقم 14 يمثّل نصف عدد الحروف الهجائية العربية التي يبلغ عددها ثمانية و عشرون حرفا 28 .

2ـ تشّكل الحروف المقطَّعة الأربعة عشر 14 النِّصف الأكثر استعمالا في العربيّة مقارنة بالنّصف الباقي.

3ـ المكرّر من الحروف المقطّعة ما كان الأسهل نطقًا على اللّسان مثل: اللام.

4ـ يطابق عدد السّور المبدوءة بالحروف المقطعة (و هو 29 سورة) عدد حروف هجاء اللغة العربية بعد إضافة الألف الساكنة له، و حروف الهجاء هي: همزة القطع، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل،

م، ن، هـ، و، ي ، و السّور ال29 المقصودة وفقا لترتيب المصحف الشّريف هي : سورة البقرة، و آل عمران، و الأعراف، و يونس، و هود، و يوسف، و الرّعد، و إبراهيم، و الحِجْر، و مريم، وطه، و الشعراء، و النمل، و القصص، و العنكبوت، و الروم، و لقمان، و السجدة، و يس، و ص، و غافر، وفصِّلت، و الشورى، و الزخرف، و الدخان، و الجاثية، والأحقاف، و ق، و القلم.

5ـ الحروف المقطّعة الـ 14 تمثّل نصف عدد الحروف التي لها ضدّ، والتي أسماها (أزواج)، وتُعْرَف في علم الأصوات اللغويّ بالصّفات الزوجية، أمّا التي ليس لها ضدّ في (الصّفة) فاصطلح على تسميتها بـ: الأوتار، وتقابل الصّفات الأحادية أو التي لا ضدّ لها في عُرف الفونيتيك، ونلاحظ هنا أنّ النورسيّ لم يُفَصِّل في الحديث عن كلّ صفة، و إنّما اكتفى بإيرادها دونما شرح يُذكر، ربّما مراعاةً منه لمقتضى الحال، و الصّفات الزوجية هي" التي وردت في شكل أزواج متعاكسة على نحو الجهر و الهمس، والشدة والرخاوة، و الإطباق والانفتاح، والاستعلاء والاستفال، و التفخيم و الترقيق، و الذلق و الإصمات "(25) .

6ـ الحروف المهموسة عشرة تلخّص في جملة: (حثه شخص فسكت)، و نصفها (صكه حس)، والمجهورة ما تبقى من حروف الهجاء، و نصفها المأخوذ (لن يقطع أمر) .

7 ـ الحروف الشديدة(أو الانفجارية) فتجمعها عبارة:(أجدت طبقك)، و نصفها أربعة حروف مقطّعة هي: (أقطك)،والرخوة(أوالاحتكاكية)فماسوى ذلك، ونصفهاالمأخوذ(سنعلمه حرص).

8ـ الحروف المستعلية هي: خص ضغط قظ، و الموجود منها في الحروف المقطّعة نصفها الأقل وهي(قصط)، والمنخفضة (أو المستفلة) ما بقي من الحروف، ونصفها المأخوذ(ع أكلمني حرسه).

9ـ الحروف المنطبقة (أو المطبقة)هي: ص ض ط ظ، و المأخوذ نصفها (ص ط)، والمنفتحة ماعدا الأربعة السابقة الذكر، و المأخوذ نصفها الذي تجمعه عبارة (أكلمني حرسه عق).

لقد اقتصر النورسيّ على ذكر صفتين اثنتين من الصّفات المفردة؛ الأولى قليلة في الحروف المقطّعة وهي القلقلة ، و الأخرى خفيفة كثيرة هي الذلاقة، دونما إشارة إلى بقية الصّفات الأحادية التي تشمل أيضا: الصّفير والتكرار والتفشي واللّين والاستطالة والانحراف والغنة[26]، وذهب إلى أن حروف القلقلة الخمسة (قطب جد) نصفها الموجود في الحروف المقطعة هو:(قط) وهو النصف الأقل؛ فهي ثقيلة "... بسبب شدّة الضّغط والحصر في نطقها كما في قولك: اذهبْ، اخرجْ، احرقْ"[27] .

عدّ النورسيّ الإذلاق من الصّفات الأوتار أي التي لا ضدّ لها، في حين أنّها في علم الأصوات الحديث صفة مزدوجة أي لها ضدّها وهو الإصمات الذي يحّد بأنه ".. ثقل نسبيّ في النطق لحروف العربية المتبقية بعد استبعاد أحرف الذلاقة " [28]، و تضّمها عبارة (فر من لب)، ونصفها الأكثر الموجود في الحروف المقطعة هو (نرمل) وهذا لكثرتها في الكلام.

في السّياق ذاته يبسط النورسيّ بين أيدينا آية كريمة مستظهرا عبرها لمعة إعجازية للحرف القرآنيّ، من خلال تموضع الحروف الهجائية و كيفياتها في آية واحدة فقط، جمعت كلّ حروف العربية وأجناس الثقيلة منها، ورغم ذلك حافظت على السلاسة و البهاء والجمال، وكان هذا في الآية 154 من سورة آل عمران التي يقول فيها الله عزّ و جلّ ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ وَ طائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ ﴾[29]، ويخولّنا تحليله العميق المتجذّر إلى استخلاص الآتي:

حرفا (الألف) و(الياء) أخفّا حروف الهجاء، تنقلب إحداهما بالأخرى كأنهما أختان فتكرّر كلّ منهما إحدى وعشرين مرة.

(الميم) و(النون) و منه التنوين ذكر كلّ منهما ثلاثا و ثلاثين مرة؛ لأنهما أختان، أي مجهوران، متوسطان بين الشدّة و الرخاوة، مذلقان و يمكن حلول الواحد محل الآخر.

(الصاد) و(السين) و (الشين) أصوات متآخية متقاربة في المخرج؛ لأنها ثلاثتها تستعمل اللسان؛ فالأول والثاني يصدران بالتقاء طرف اللسان باللثة، و الثالث غاريّ، ينشأ بالتقاء وسط اللسان بغار الفم، و كلّ تلك الحروف متآخية في الصفة و الصوت؛ لأنها مهموسة رخوة، و من أجل ذاك التآخي و التقارب ذكر كلّ منها ثلاث مرات.

(العين) و(الغين) لأنهما متآخيان لمخرجهما كليهما من الحلق، ذكرت العين ست مرات لخفتها، و الأخرى ثلاثا لثقلها.

وردت كل من الحروف(الطاء) و(الظاء) و(الذال) و(الزاي) في الآية الكريمة مرتين؛ و هذا لتقاربها:

* مخرجا؛ إذ (الذال) و(الظاء)أسنانية، و(الطاء) و(الزاي)أسنانية لهوية، وهو تقارب كما ذكر وليس تطابقا.

* صفة صوتا لأنّ (الذال) و(الطاء) شديدان مهموسان مفخّمان، و(الظاء) و(الزاي) رخوان مجهوران مرقّقان.

(اللام) و(الألف) في صورة (لا) و حصة (الألف) نصف في تركيب (لا)، لذا تكرّرت (اللام) اثنتين وأربعين مرّة، أمّا(الألف) فنصف ذلك العدد، أي إحدى و عشرين مرّة.

(الهمزة) و(الهاء) بما أنّهما متآخيان في المخرج (الحنجرة)؛ فقد جاءت الأولى ثلاث عشرة مرّة، أمّا (الهاء) فأربع عشرة مرّة؛ لأنّها أخف من الهمزة بدرجة، و لم يشر إلى التآخي في الصّفة، ذلك أنّ (الهمزة) صوت شديد في حين أنّ (الهاء) رخو.

(الراء) أخت(اللام)؛ لأنّهما مجهوران متوسطان(بين الشدة و الرخاوة)، ومن أصوات الذلاقة، ذكرت(الراء) ستّ مرّات فقط لثقلٍ في تكرارها، أمّا (اللام) فأورد قبلا أنّها تكرّرت اثنتين و أربعين مرّة.

(الخاء) و(الحاء) و(الثاء) و(الضاد) حروف ثقيلة وبينها مناسبات، لذا ذكر كلّ منها مرّة واحدة.

(الواو) في الآية نفسها ظهر ستّ مرات صامتا، و إحدى عشرة مرّة صوت لين أو مدّ، ومجموعها هو الرقم الذي تحدث عنه النورسيّ أي سبع عشرة مرة؛ لأنها أخفّ من (الهاء)

و(الهمزة)، و أثقل من (الياء) و (الألف) .

بعد هذه الإطافة المتواضعة في رحاب الكليّات، و إثر محاولة تقصّي وتقفّي ملامح البحث الصوتيّ في متون رسائل النورسيّ النوريّة، يمكن القول بأنّها قد حفلت بمادّة صوتيّة متنوّعة تلتقي في كثير من مسائلها بما في جُعْبَةِ الأصواتيّين المحدَثين ، ولعلّ النتائج و الملاحظات الآتية تعضّد ذلك:

* يتبدّى علم الأصوات النطقيّ أو الفيزيولوجي المتعلّق بالجهاز النطقيّ ومخارج الأصوات وصفاتها في المدوّنة (رسائل النور) بشكل إشارات يسيرة لمخارج الأصوات، أمّا صفات الأصوات فنجدها متجليّة بوضوح في عدّة مواضع من المدوّنة.

* استقام تعريف النورسيّ للحرف و النظرة الحديثة للفونيم، و بصورة تُجَارِي أصحاب التخصّص.

* كثيرا ما تكرّرت الصفة الهوائية للحروف في متون الرسائل، كما ألمح إلى مخرج الحروف من الفم دون أن يتعرّض للجهاز النطقيّ.

* التأكيد على الصفة الهوائية للحرف يقارع ما أثبته العلمان: علم الأصوات النطقي مِنْ أنّ الحروف ما هي إلاّ هواء الزفير معترض في مواضع معيّنة من الفم، و علم الأصوات الفيزيائيّ أو الأكوستيكيّ مِنْ أنّ الصّوت بمجرّد خروجه من الفم يتحوّل إلى ذبذبات هوائيّة منتشرة في الهواء.

* يتّجه التّناول النطقيّ الفونيتيكيّ صَوْبَ صفات الحروف أكثر بكثير من مخارجها أو جهاز نطقها، ويكاد ينحصر ذكره للصّفات في أثناء حديثه عن الجانب الإعجازيّ للقرآن الكريم.

* يقدّم لنا مادة لغوية لافتة و دقيقة عن الحروف المقطّعة أوائل بعض السّور القرآنية، و يسمّيها (الشفرات الإلهية) التي تحتاج مَنْ يفكّها ليُعْلَمَ اليقينُ من خلالها.

* أومأ النورسيّ إلى صفات الحروف و هو بصدد دراسته للحرف الهجائيّ العربيّ أوائل بعض السّور القرآنية .

*تعرّض بالدّرس لِمَا أسماها (أزواج)، وتُعْرَف في علم الأصوات اللغويّ بالصّفات الزوجية، أمّا التي ليس لها ضدّ في (الصّفة) فاصطلح منفردا على تسميتها بـ: الأوتار، و تقابل الصّفات الأحادية أو التي لا ضدّ لها في عُرف الفونيتيك.

الهوامـــــش و المراجـــع

[1]_محمود فهمي حجازي:مدخل إلى علم اللغة (المجالات والاتجاهات)، الطبعة الرابعة الجديدة و المزيدة، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، ص32

2 _علي عزت:الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب و تحليل الخطاب، ط1، شركة أبو الهول للنشر، دار نوبار للطباعة، القاهرة_مصر،1996م، ص11-12

3_ غنية تومي، (السياق و أثره في توجيه المعنى شعر أبي تمام أنموذجا)، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، قسم اللغة العربية و آدابها،2006م، إشراف أ.د محمود أحمد نحلة، 2006م، ص44

4_ فندريس:اللغة، تعريب:عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص،(د.ط)، القاهرة،1950م، ص83.

5 _ينظر: كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم و الجديد،(د.ط)، دار غريب، القاهرة، 2005م، ص174-175.

6_ بديع الزمان النورسيّ:صيقل الإسلام، تر.إحسان قاسم الصالحي، ط3، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، 1995م، 251/8.

7_ نفسه، 361/8 .

7 _كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ط3، الرشاد للطباعة، القاهرة، 2001م، ص189.

7 _كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم و الجديد، ص177.

7 _النورسيّ: اللمعات، 416/3.

7 _نفسه.

7 _نفسه، 418/3.

7_ ينظر: النورسي، المكتوبات، تح. إحسان قاسم الصالحي، ط3، شركة سوزلر، القاهرة،2001م، 503/2.

7 _ينظر: النورسي، الكلمات، تح. إحسان قاسم الصالحي، ط3، شركة سوزلر،استانبول،1998م، 431/1.

7_ نفسه، 431/1 .

8_ بسام بركة: علم الأصوات العام(أصوات اللغة العربية)،(د.ط)،مركز الإنماء القومي، بيروت-لبنان،(د.ت)،177.

9_ رومان جاكوبسن و موريس هالة: أساسيات اللغة، تر. سعيد الغانمي، ط1، كلمة و المركز الثقافي العربي، 1429هـ-2008م، ص12.

10_النورسيّ: صيقل الإسلام، 361/8.

11 _كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ط3، الرشاد للطباعة، القاهرة، 2001م، ص189.

12 _كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم و الجديد، ص177.

13 _النورسيّ: اللمعات، 416/3.

14 _نفسه.

15 _نفسه، 418/3.

16_ ينظر: النورسي، المكتوبات، تح. إحسان قاسم الصالحي، ط3، شركة سوزلر، القاهرة،2001م، 503/2.

17 _ينظر: النورسي، الكلمات، تح. إحسان قاسم الصالحي، ط3، شركة سوزلر،استانبول،1998م، 431/1.

18_ نفسه، 431/1 .

19 _ ينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص124، 126 و مابعدها.

20_ ينظر: النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تح. إحسان قاسم الصالحي، ط3، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، 2002م، 43/5 .

21_ ينظر: عبد المهدي كايد أبو شقير، تحليل أكوستيكي لوجوه الاختلاف الصوتي بين ورش و قالون في قراءة نافع، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2006م، ص67.

22_ كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص 124 .

23_ ينظر: زبير دراقي، محاضرات في فقه اللغة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1994م، ص66 .

24_النورسيّ: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، 41/5 .

25 _ زبير دراقي: محاضرات في فقه اللغة، ص 67 .

26 للتّوسع أكثر في ماهية الصّفات التي لا ضدّ لها ينظر: نفسه، ص69-70.

27 _ كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص135 .

28_ محمد محمد داود: العربية و علم اللغة الحديث، (د.ط)، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة-مصر، 2001م، ص127 .

29_ ينظر: النورسيّ، الكلمات ، 437/1 .